اللمحات التداولية للرازي في تفسيره (القصديَّة والمقبوليَّة أنموذجًا)

د٠ نجاح ثويني الذايدي (*)

المقدمة :

إنَّ قضية اللسانيات التداولية تعدُّ من القضايا المهمَّة التي شَغَلَتْ الباحثين في علم اللغة، ويهدف هذا العلم إلى حلِّ الكثير من القضايا المتعلقة بتحليل النص.

لقد تمكنت التداولية –خاصة في العقود الأخيرة– من تبوُّء مكانة مرموقة في عالم الدراسات اللغوية؛ فقد انفتحت أمامها آفاق واسعة من البحث العلمي اللغوي في مجال تحليل النص ككل، حيث يجري تطوير وسائل التحليل اللغوي، ورفع كفاءتها، لتكون قادرة على معالجة العلاقات التركيبية فيما وراء الجملة.

ويحقِّق هذا المنهج فائدة بالغة في تحليل النصوص وفهمها؛ ذلك أنه يتجاوز العناية بمكونات النصِّ الشكلية إلى العناية بمحاور إنتاج النَّص أو الخطاب، فأَوْلَى عناصر الموقف الخطابيِّ وكلَّ ما يؤثر فيه من سياق الحال أو المقام، وحالِ المتكلّم والمخاطب، وثقافةِ كلٍّ منهما، وعلاقةِ كلٍّ منهما بالآخر وبالخطاب، عنايةً كبيرة؛ فلا يتحقق التواصل بين المتكلِّم والمخاطب، أو بين القارئ والكاتب بِنُطْقِ جُمَلٍ وعباراتٍ أو قراءتها مَعزولةً عن سياقها، بل إنَّ «ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطَه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه (مقتضى الحال)»[1].

فعناية اللغويين قدماء ومحدَثين بذلك أدَّت إلى ظهور مصطلحات ومفاهيم جديدة يتعلَّق أغلبها بالمتكلِّم والمخاطب كالقصد والمقبوليَّة والإفادة والتبليغ[2].

(*) دكتوراه في النحو والصرف والعروض، ومدرِّس لغة بكلية الآداب – جامعة الكويت.

هذا المنهج التداوليُّ –وإنْ كان حديثًا– لا نعدم وجودَ بعض الإشارات إليه في كتب التراث العربيِّ؛ فقد «وُظِّف المنهجُ التداوليُّ بوَعْي في تحليل الظواهر والعلامات المتنوِّعة (الأيقونات والرموز التصويرية والمعمارية والتشكيلية واللغوية..)»[٣]؛ فهو مبثوث في الدرس النحويِّ والبلاغيِّ والأصوليِّ، كما أنه موجود في تفسير القرآن الكريم.

من هنا، جاء اهتمام هذا البحث بإيضاح الأبعاد التداولية في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي، وذلك من خلال التركيز على القصديَّة والمقبوليَّة.

إن المقبوليَّة لدى المتلقِّي هي الوجه الآخر للقصديَّة لدى منشئ النصِّ؛ فالمخاطَبُ مثلاً هو الوجه المقابل للمخاطِبِ، فيَصعُبُ الفصلُ بين القصديَّة والمقبوليَّة، كما أن «الجوانب المقصديَّة والمقبوليَّة لا غنى عنهما في تشكيل الخطاب وفهمه»[٤].

الرازي هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبري الأصل، الرازي المولود الفقيه الشافعي[٥]، يكنى بأبي عبد الله الرازي، وأبي المعالي، ويُعرَف بابن الخطيب.

كان مولده في ٥٤٤هـ بمدينة الرِّيِّ القريبة من خراسان، ونسب إليها (رازي)، وتوفي في ٦٠٦هـ بـ(هراة) في دار السلطنة.

نشأ الرازي شديدَ الحرصِ جدًّا على تحصيل العلوم الشرعية والحكمة والتبحُّر فيها، فتتلمذ في أول أمره على والده الشيخ ضياء الدين عمر، وقرأ علم الكلام والحكمة على المجد الجيلي أحد تلامذة الإمام الغزالي، وكان يحفظ (الشامل) لإمام الحرمين في علم الكلام.

من تلامذته: زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب النيسابوري، كانوا من كبار تلامذته، ومن أكثر الناس تقديرًا له.

للرازي مصنفات كثيرة مشهورة، ذكر ابن كثير أنها بلغت نحو مائتي مصنف(٦)، من أهمها: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الذي جاء في خاتمة مصنفات الرازي بعد حياة حافلة في ميادين العلوم والمعارف مما جعل له سمتًا مميزًا.

وبالتحقُّق من العنوان (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) يمكن أن نستخلص بعض ما يتعلق بهذا البحث الذي نحن بصدده:

أولاً: تسميته بـ(الكبير) وصف له؛ لأنه كان في عدة مجالات.

ثانيًا: تسميته بـ(مفاتيح الغيب) يمكن أن تكون تأثرًا بما عند الله ﷻ في قوله: {وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ}(٧)، ويمكن **–وهذا هو الأهمُّ هنا–** أن يكون القصد بهذه التسمية (الاستعارة)؛ إذ المفاتيح يُتوصَّل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال، فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يَتوصَّل إلى ما في تلك الخزائن من نفائس(٨)، والنفائس هنا هي معرفة مراد النص القرآني.

لقد كان اختيار تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي لثلاثة أسباب رئيسة:

الأول: أنه واحدٌ من أهم التفاسير المهتمَّة ببيان مراد النص القرآني؛ فلا يُغادِر الرازي سورةً أو آيةً إلاَّ بيَّن ما أحيط بها من أغراضِها، وما يُمكِن أن يتركه من أثر في نفس المتلقِّي.

الثاني: أنه واحدٌ من أهم التفاسير المتداوَلة بين أهل العلم؛ فهو يعتمد على اللغة والنحو في تخريجاته، وذلك من خلال تطبيقات نحوية تُبرِز أثرَ اللغةِ والنحوِ في توجيه معنى النصِّ وتفسيرِه.

الثالث: أنه يتَّسِم بالاستطراد وتصريف الأقوال، وعرض القراءات المختلفة، وقد يُخرِّج المعاني على كلِّ قراءة، وقلة الاعتماد على الحديث في تفسيره، مع كثرة الاستشهاد بالشعر للاستدلالات اللُّغَويَّة والبلاغية(٩).

مشكلة البحث :

يتحدَّد موضوع البحث في السؤال الرئيس الآتي:

كيف كان الرازي في تفسيره موفَّقًا في الجمع بين قصديَّة النص القرآني ومقبوليَّة المتلقي لهذا النص؟

يتفرَّع عنه السؤالان الآتيان:

١- ما المقصود بالقصديَّة والمقبوليَّة عند المحدَثِينَ وفي التراث العربيِّ؟

٢- ما مؤشِّرات اهتمام الرازي بمراد النص القرآني في تفسيره (القصديَّة)؟

٣- ما مؤشِّرات اهتمام الرازي بمراعاة حال المتلقِّي في تفسيره (المقبوليَّة)؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١- **أهمية موضوعية:** بيان جهود الإمام الرازي وإسهاماته القيمة في مجال اللسانيات التداولية بوصفه أحدَ أهمِّ مفسِّري القرآن الكريم، والكشف عن بعض وجوه الإعجاز القرآني في معرفة مراد النص القرآني (القصديَّة)، وكيف وافق هذا مراعاةَ حالِ المتلقي للنص القرآني (المقبوليَّة)؛ وذلك على أساس أنَّ القصديَّة والمقبوليَّة اثنان من أهمِّ مُتطلَّبات تحقيق تداولية النصِّ، ولا غِنَى عنهما في تشكيله وفَهمِه.

٢- **أهمية منهجية:** التأكيد على أهمية دراسة النصوص اللغوية المهمَّة دراسة لغوية تداولية، وتخطِّي الجانب التركيبي البنيوي إلى آفاقٍ أرحبَ من الدرس والبحث؛ فاللغة بالتأكيد رموز تعبر عن معانٍ كثيرةٍ وعميقةٍ ومتداخلةٍ ومترابطةٍ في آنٍ واحدٍ.

٣- **أهمية بحثية:** اعتبار هذا البحث فاتحةً لدراسات لغوية تداولية مستفيضة للقيِّم من التراث العربي النحوي والبلاغي والأصولي، يُمكِن أنْ تقدِّمَ نتائجَ قيِّمة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١- بيان مفهوم القصديَّة والمقبوليَّة.

٢- الكشف عن أصالة هذين المصطلحين في تراثنا البلاغي العربي.

٣- إثبات اهتمام الإمام الرازي ببيان قصدِ النص القرآني ومراده، ومقبوليَّة المتلقِّي لهذا النص من خلال مراعاته لحالِ متلقِّيه.

منهج البحث:

تقوم الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي** الذي يعتمد على توصيف القصديَّة والمقبوليَّة، ومحاولة استقراء التراث اللغوي العربي لبيانِ أصالتهما فيه، وكيف ظهر الفكر التداولي عند الرازي من خلالهما.

لذلك كان من اللازم إيراد الشاهد القرآني، مصحوبًا بما ورد بشأنه في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي، ثم تعليق اللغويين والمفسِّرين إنْ وُجِد.

تجدر الإشارة هنا إلى أنني اعتمدتُ على اختيار بعض النماذج الممثِّلة لكلٍّ من القصديَّة والمقبوليَّة من هذا التفسير الكبير؛ ذلك أن هذا التفسير كبير يصعب استقراؤه كاملاً في هذا البحث الصغير ذي الورقات المعدودة، وهذا السببُ نفسُه يَترُك المجالَ واسعًا أمام باحثين آخرين لتناوُل كلٍّ منهما على حدة في هذا التفسير الكبير.

إن الدراسة بهذا تتخذ لنفسها جانبين مهمين يُكمِل كلٌّ منهما الآخرَ: نظري تعريفي تأصيلي، وتطبيقي من خلال تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي، وما يمكن أن يدعم رأي الرازي من خلال مراجعة كتب اللغويِّين والمفسِّرين.

تقتضي طبيعة البحث أن يكون في محورين:

الأول: القصديَّة (Reference) في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي.

الثاني: المقبوليَّة (Acceptability) في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي.

المحور الأول

القصديَّة (Reference)

في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي

لكلِّ منشئ نصٍّ غايةٌ يسعى لتحقيقها من هذا النصِّ، فلا يوجد نصٌّ بدون مَقصِد؛ فلا يتكلَّم المتكلِّم مع غيره مثلاً بدون قَصْدٍ[١٠]، فالقصديَّة تعني «جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها»[١١].

وهذا يعني أن القصديَّة وسيلة من وسائل أخرى عديدة يستعملها منشئ النص من أجل تحقيق مُرادِه، مما يؤكد أن عنصري السبك والحبك، يوجههما – باستمرار – قصدُ المرسل لهدف محدَّد، وهو التأثير في متلقٍّ بعينه في ظروف معينة[١٢]، حتى إنَّ دي بوجراند يرى أنَّ احتواء النص على خلل في سبكه أو حبكه لا يؤدي إلى فقدان النص للمقبوليَّة إذا كان الخلل الحادث يتجه إلى قصد معيَّن، ومعنى هذا أن للقصد تأثيرًا في بنية النص وأسلوبه؛ لذلك فإنَّ المنشئَ يبني نصه بناءً معينًا، ويختار لذلك وسائل لغوية ملائمة بما يضمن تحقيق مراده.

وكأنَّ دي بوجراند يرى أن القصديَّة في أي نص تتحقق من المتكلم، سواء تحقَّقَت بشكل كامل أو ضعُفَت في بعض الأحيان، وسواء أكان النص معها مسبوكًا محبوكًا أم لا يتوافر فيه عنصرَا السبكِ والحبك بشكل كامل؛ فهي معيار مستقل عن السبك والحبك.

وكان ميخائيل باختين يرى أن النص يتحدَّد بعاملين يجعلان منه نصًّا: النية (العزم)، وتنفيذ هذه النية، وهما يتفاعلان بشكل ديناميكي[١٣].

إنَّ مفهوم القصد يمثل جزءًا أساسيًّا من تداولية الخطاب، سواء أكان هذا في الفكر التراثي العربي أم الفكر اللغوي الحديث[١٤].

القصد في البلاغة العربية:

جاء (القصد) في البلاغة العربية على ألفاظٍ كثيرة، منها: الغرض، والفائدة، والمراد، والحاجة، والمقصد[١٥]، بل رأي بعض الباحثين أن لفظ (البلاغة) يعني (المقصد)، وبذلك يكون (علم البلاغة) عندهم هو (علم المقاصد)[١٦].

ويوضح عبد القاهر أهمية القصد بقوله: «وكان مما يُعْلم ببدائه المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا؛ ليعرفَ السامع غرضَ المتكلم ومقصودة»[١٧]، وكذلك أكد أهمية القصد وعلاقته بالألفاظ والمعاني بقوله: «وأمر (النظم)، في أنه ليس شيئا غير توخِّي معاني النحو فيما بين الكَلِم، وأنك تُرتب المعاني، أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»[١٨]، وهنا يرى عبد القاهر من أنه لا بد من معرفة غرض المتكلم وقصده؛ ومن ثم يتم تحديد وظيفة الألفاظ في النطق.

إن قصديَّة المتكلم تعني كل تلك الأمور النفسية والاجتماعية التي تؤثر في هندسة تعبير المتكلم وبناء نصه وتحقيق وظائفه.

ولعل جوهر البلاغة العربية يكمن في تلك العلاقة الحميمية بين النص وصاحبه، فالمتكلم قد تتوافر عنده قدرة على تأليف كلام خال من اللحن والعجمة، ويمتلك بضاعة معجمية غير مزجاة، لكن تخونه معرفة الأبعاد السياقية للكلمة؛ يقول ابن الأثير: «إذا كان حسن التأليف لا يؤاتيك، ولا تصل قدرتك إليه وتجد اللفظة لا تقع موقعها، ولا تصير إلى مركزها، ولا تتصل بسلكها، وكانت قلقة في مكانها نافرةً عن موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير مواطنها، فإنك إن لم تتعاط صناعة التأليف من المنظوم والمنثور لم يعبك على ذلك أحد»[١٩]، كون المعطيات السابقة المتعلقة بترابط وحدات النص تركيبيا ودلاليا ومنطقيا تبقى في حاجة مسيسة إلى السياق غير اللغوي.

تتحكم في القصديَّة مجموعة من المبادئ، وقد قدم غرايس Grice المبادئ، وهي إستراتيجيات يدخل السبك والحبك ضمنها[٢٠]:

أ- قاعدة الكم: بأن يجعل منتج النص إسهامه إخباريًّا بقدر ما يطلب، ولا يجعل إسهامه الإخباري أكثرَ مما يطلب.

ب- قاعدة الكيف: بأن يحاول منتج النص أن يجعل إسهامه صحيحًا؛ لا يقول ما يعتقد أنه خطأ.

ج- قاعدة المناسبة: بأن يكون ترتيب النص مناسبًا ووثيق الصلة بالموضوع.

د- قاعدة الأسلوب: بأن يكون واضحًا سهلاً، ويجنَّب الغموض في التعبير، وتجنب الإسهام، وكن مختصرا (تجنب الإطناب غير الضروري وكن منظما).

هـ- مبدأ الهيئة: ويشمل على عدة طرق ومحدِّدات لترتيب النصوص وتقديمها: منتج النص عليه أن يكون واضحًا ويتجنب الإبهام (بالرغم من وجود دوافع معينة لذلك الغموض أحيانًا)، وعليه كذلك أن يتجنب الغموض بأن يعجز عن تحديد المعنى المقصود؛ مما يتطلب منه القيام بإجراء أعمال تصحيحية لإزالة ذلك الغموض (كإعادة الصيانة مثلاً)، وهذا قد يتعارض مع (الإعلامية) ولا يؤيده، وعليه أيضًا أن يكون مرتِّبًا بأن يتعارض مع مبدأ نصه بحسب الترتيب الذي يقبله أو يطلبه الآخرون.

إن المتكلم في النص القرآني هو الله ﷻ، ومعرفة مقاصده قائمة على الاحتمال والاجتهاد؛ فلا يمكن لأحد من البشر أن يقف على مراد الله ﷻ في كتابه جزمًا ويقينًا، لكن المفسرين جعلوا المعنى القرآني على ضربين[٢١]:

الأول: المعنى القصدي التوقيفي، وهذا عينُ مرادِ الله ﷻ وقصده، ولا يتأتى إلا بنص صحيح عن النبي ﷺ.

الثاني: المعنى الإدراكي الاجتهادي، وهذا ما يدركه أهل العلم والتدبر في آيات الله ﷻ وفقًا لأصول الإدراك والتدبر وضوابطهما من خلال معطيات كل من السياق المقالي والمقامي.

والبحث هنا يسير وفق المعنى الثاني الذي يتيح فرصة للاجتهاد بضوابطه، والذي لا يجعل الباحثةَ تتحرَّج في الكلام عن مراد الله وقصْده، وذلك بالتذرُّع بالآليات والضوابط العلمية، وزيادةً في التأدُّب فستستعمل الباحثة مصطلحَ (مراد النص القرآني) أو (قصدية النص القرآني) للتعبير عن كلام الله ﷻ.

مراعاة حال المتكلم في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي:

حاول الرازي أن يبيِّن مراد النص القرآني وقصدَه، ويظهر ذلك في مواطن عديدة من تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، ومن تلك الأمور التي تناولها الرازي:

١- قصدية النص القرآني من بعض السور:

كان الرازي عادةً يحاول أن يبيِّن قصدية النص القرآني من السورة التي هو بصدد تفسيرها.

من ذلك محاولة كشفه عن قصدية النص القرآني من سورة النساء؛ فهو يرى أنَّ في السورة طابَعًا عامًّا غالبًا عليها، يقول: «اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف؛ وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام، والرأفة بهم، وإيصال حقوقهم إليهم، وحفظ أموالهم عليهم، وبهذا المعنى ختمت السورة»[٢٢].

إن نظرة الرازي عامَّة لقصدية النص القرآني من تنزيل هذه السورة، فقد لخَّصها في كلمة واحدة (التكاليف)، والرازي هنا يمثل أحد ثلاثة أنواع من المفسرين.

مِن المفسرين -غير الرازي- مَن يرى أن يبيَّن مرادات الله ومقاصده إجمالاً من كل سورة، ومنها بالطبع سورة النساء؛ فقد حاول الفيروزآبادي وابن عاشور أن يُبيِّنَا قصدية النص القرآني من أجزاء سورة النساء، يقول الفيروزآبادي: «وأما ما اشتملت عليه السورة مجملاً فبيان خلقه آدم وحواء، والأمر بِصِلة الرحم، والنهي عن أكل مال اليتيم، وما يترتَّب عليه من عظم الإثم.. إلخ»[٢٣].

أما البقاعي فكانت رؤيته أوضح وأشمل من هذين النوعين السابقين من المفسرين؛ فحاول ربط سورة النساء بما قبلها من السور (آل عمران، البقرة، الفاتحة)، يقول: «مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه سورة آل عمران، والكتاب الذي حدت إليه سورة البقرة، لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة؛ تحذيرا مما أراده شاس بن قيس وأنصاره من الفرقة، ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دَعَت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل عادةً الأرحام العاطفة التي مدارها النساء، ولأن بالاتِّقَاء فيهِنَّ تتحقق العفَّة والعدل الذي لبابه التوحيد»[٢٤].

بهذا يكون الرازي قد اجتهد لِبيان قصدية النص القرآني من سورة النساء إلا أن اجتهاده جاء عامًّا حاول غيره أن يجمل مقاصد تلك السورة، وحاول بعض المفسرين أن يربط هذه المقاصد بمقاصد السور السابقة لها، وكأنَّ هذا النوع الأخير يرى في ترتيب السور ذاته قصدًا من نوع ما.

٢- قصدية النص القرآني من بعض الأساليب:

للنحاة والبلاغيين كلام كثير حول الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية[٢٥]، والاستفهام أحد هذه الأساليب الإنشائية الطلبية التي تناولها المفسرون، ومنهم الرازي، في تفاسيرهم.

يتفق المفسِّرون مع اللغويين في أنَّ الاستفهام من الله ﷻ ليس على حقيقته، وإنما هو على معنى التقرير أو مِن قبيل إجراء الكلام مجرى المخلوقين؛ ذلك لأن الاستفهام طلبُ الفهم، وهذا لا يجوز على الله ﷻ[٢٦].

ولم يكن الرازي بعيدًا عن ذلك التناول لقصدية النص القرآني من أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم؛ فقد سمَّى المعاني التي يفيدها الاستفهام معانيَ مجازية، يقول تعليقًا على قوله ﷻ: **{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}**[٢٧]: «واعلم أن هذا وإن كان استفهامًا في الظاهر إلا أن المراد منه هو النهي.. وإنما حسن هذا المجاز

لأنه تعالى ذم هذه الأفعال وأظهر قبحها للمخاطب، فلما استفهم بعد ذلك عن تركها لم يقدر المخاطب إلا على الإقرار بالترك، فكأنه قيل له: أتفعله بعدما قد ظهر لك قبحه ما قد ظهر؟! فصار قوله: (فهل أنتم منتهون؟) جاريًا مجرى تخصيص الله تعالى على وجوب الانتهاء مقرونًا بإقرار المكلف بوجوب الانتهاء»[٢٨].

ومما يدل على أن قصدية النص القرآني من أسلوب الاستفهام –أحيانًا– معنى التقرير المؤكَّد وليس مجرَّد الإخبار قوله ﷻ: **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ}**[٢٩].

يقول الرازي مبينًا قصدية النص القرآني من الاستفهام هنا قائلاً: «الاستفهام للتقرير المؤكد، فإنه لو قال على سبيل الإخبار: (عسَيتم إن توليتم) لكان للمخاطب أن ينكره، فإذا قال بصيغة الاستفهام كأنه يقول: أنا أسألك عن هذا وأنت لا تقدر أن تجيب إلاَّ بـ(لا) أو (نعَم)، فهو مقرَّر عندك وعندي»[٣٠].

وهكذا يراعي الرازي في تفسيره لآيات الله ﷻ أن المتكلم هو الله؛ فهناك أشياء وأمور لا تجوز أن تنسب إليه، ويلتقي هذا مع القصديَّة بمفهومها الحديث.

٣– قصدية النص القرآني من بعض المفردات:

كان الرازي –عادةً– يحاول أن يبيِّن قصدية النص القرآني من استخدام كلمةٍ مخصوصةٍ في سياقٍ ما، وكانت الوسيلة في ذلك هي اللغة نفسها، ومن تلك المواضع قوله ﷻ: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[٣١]

يذكر الرازي في أنَّ الأصل اللغوي لكلمة (المَحيض) هو (السيل)، ثم يذكر أن كثيرًا من المفسرين رأوا أن النص القرآني قصَد بها (الحَيْض)، ثم يصرِّح برفضه لذلك معللاً بأن هذا البناء قد يأتي في اللغة للموضع، مثل: المبيت،

والمغيب، وقد يأتي أيضًا للمصدر، مثل: حاضت محيضًا، وجاءت مجيئًا، وفي النهاية يذكر رأيه بأنَّ قصدية النص القرآني بهذه الكلمة (موضع الحَيْض).

يقول الرازي: «تقول العرب: المعاش والمَعيش، والمغاب والمَغيب، والمسار والمَسير؛ فثبت أن لفظ (المَحيض) حقيقة في موضوع الحيض، وهو أيضًا اسم لنفس الحيض، وإذا ثبت هذا فاعلم أن أكثر المفسرين من الأدباء زعموا أن المراد بـ(المَحيض)، ههنا (الحيض)، وعندي أنه ليس كذلك؛ إذ لو كان المراد بـ(المَحيض) ههنا (الحيض) لكان قوله: (فاعتزلوا النساء في المحيض) معناه: فاعتزلوا النساء في الحيض، ويكون المراد: فاعتزلوا النساء في زمان الحيض؛ فيكون ظاهره مانعًا من الاستمتاع بها فيما فوق السرَّة ودون الركبة، ولمَّا كان هذا المنع غير ثابت لزم القول بتطرق النسخ أو التخصيص إلى الآية، ومعلوم أن ذلك خلاف الأصل، أما إذا حملنا (المَحيض) على موضع الحيض كان معنى الآية: فاعتزلوا النساء في موضع الحيض، ويكون المعنى: (فاعتزلوا موضع الحيض من النساء)، وعلى هذا التقدير لا يتطرق إلى الآية نسخ ولا تخصيص»[٣٢].

وحينما يرى الرازي أنَّ أحدًا سينتقده بأن النص القرآني قد قصَد المصدَر (الحيض) لأنه قال: (هو أذى)، أي: الحيض، فإنه يخرج من ذلك بتعليل ما، ثم يسأل سؤالاً يزيل الإشكال في ذلك كله: «لم لا يجوز أَن يكون المراد من المَحيض الأول هو الحيضَ ومن المَحيض الثاني موضع الحيض؟»[٣٣].

وهذا ما ذهب إليه السمين الحلبي من أن قصدية النص القرآني من (المَحيض) الأول هو المصدرية، وقصده من (المَحيض) الثاني هو مكان الحيض[٣٤].

٤- قصدية النص القرآني من بعض الأدوات:

حاول الرازي أن يبيِّن قصدية النص القرآني من استخدام بعض الأدوات النحوية خاصَّة في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، ومن هذه الأدوات التي تناولها الرازي:

أ) الأداة (أنَّى) في قوله ﷻ: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[٣٥]

يذكر الرازي في المراد بقوله ﷻ: (أنَّى شئتم) آراءَ المفسرين[٣٦]:

الأول: أنه يجوز للزوج إتيان زوجته من قُبلها في قُبلها، ومن دبرها في قُبلها.

الثاني: أنه الإتيان في أي وقت من أوقات الحِلِّ، أي: إذا لم تكن أجنبية أو محرمة أو صائمة أو حائضًا.

الثالث: أنه يجوز الإتيان قائمةً أو باركةً أو مضطجعةً بعد أن يكون في الفرج.

الرابع: أنه يجوز العزل وعدمه، وهذا ما نقله ابن عباس عن سعيد بن المسيب.

الخامس: أنه يجوز الإتيان في أيِّ وقت من ليلٍ أو نهارٍ.

ثم يرجِّح الرازي الرأيَ الأول بقوله: «والمشهور ما ذكرناه أنه يجوز للزوج أن يأتيها من قبلها في قبلها، ومن دبرها في قبلها»[٣٧].

وكان الرازي قد اعتمد في ترجيحه هذا على آليتين مهمتين:

الأولى: المقام من حيث سبب نزول الآية؛ فيقول بأنَّ «سبب نزول هذه الآية هو أن اليهود كانوا يقولون: من أتى امرأة من دبرها في قبلها جاء الولدُ أحولَ، فأنزل الله تعالى هذا لتكذيب قولِهم، فكان الأوْلى حملَ اللفظ عليه»[٣٨].

الثانية: اللغة؛ حيث علَّل بأن لـ(أنَّى) معنيَيْن (متى، كيف)، ولا مجال هنا للتوقيت، يقول الرازي: «وأما الأوقات فلا مدخل لها في هذا الباب؛ لأنَّ (أنَّى) يكون بمعنى (متى) ويكون بمعنى (كيف)، وأما العزل وخلافه فلا يدخل تحت

(أنَّى) لأن حال الجماع لا يختلف بذلك فلا وجه لحمل الكلام إلاَّ على ما قلنا»[٣٩].

ب) الأداة (لَعَلَّ) في قوله ﷻ: {فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى}[٤٠]:

ذكر النحاة لـ(لعَلَّ) معانيَ كثيرةً، منها: الترجي، وهو الأكثر، والإشفاق، وهو الترجِّي في المكروه[٤١]، وقد جعلهما ابن هشام (الترجي والإشفاق) شيئًا واحدًا، وهو التوقُّع[٤٢]، ومن معانيها أيضًا: التعليل[٤٣]، والاستفهام[٤٤].

ولم يرْضَ المفسرون بهذا الأمر؛ فوجدوا أن قصدية النص القرآني من (لعَلَّ) لا تتفق مع أغلب هذه المعاني، فلا يجوز أن تكون قصدية النص القرآني هي الشك أو التمني أو التوقُّع، بل كل كلام الله متحقق مقطوع العلم به[٤٥].

ومن ذلك ما ذكره الرازي في تفسير قصدية النص القرآني بـ(لعَلَّ) في هذه الآية؛ يقول: «معنى (لعَلَّ) راجع إلى العباد لا إلى الله تعالى فقوله: (لعله يتذكر أو يخشى)، أي: اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما في إيمانه، ثم الله تعالى عالم بما يؤول إليه أمرُه»[٤٦].

فلا يمكن – في رأي الرازي – أن تكون قصدية النص القرآني هي التوقع أو الترجي أو الشك مما يمكن أن ينطبق على المخاطب في هذه الآية (موسى وأخيه)؛ فالمعنى المقدر هو: اذهبا في رجائكما وطمعكما، وهو ما وافق الزركشي فيه أيضًا سيبويه والزجاج[٤٧].

مما سبق، يتبيَّن أن الرازي كان على دراية بأنَّ المتكلم في النص القرآني هو الله ﷻ، وأنه حينما يستخدم كلمات وأدوات نحوية وأساليب، وحينما ينزل سورة في ترتيب معيَّن، ويضعها بين أخواتها على ترتيب خاص – فإنَّ كل ذلك يكون بقصد ما وحكمة يريدها الله ﷻ.

التعليق على المحور الأول:

تناول المحور الأول مفهوم القصديَّة، وبيانه في مؤلفات التراث اللغوي العربي، وكيف اجتهد الرازي فأدلى برأيه في بيان قصدية النص القرآني، وقد اتضح ذلك في مواطن عديدة، منها: بيان قصدية النص القرآني من تنزيل بعض السور، ومن استخدام بعض الأساليب والكلمات والأدوات دون غيرها..

**

المحور الثاني

المقبوليَّة (Acceptability)

في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي

المقبوليَّة هي «موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام»[٤٨].

ويرى كل من دي بوجراند ودريسلر أن المراد بالمقبوليَّة «تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضامًّا متقارنًا ذا نفع للمستقبِل أو ذا صلة به»[٤٩]؛ فالنص متعلق بنظرة المستقبِل أو المتلقي إليه وبموقفه مما تضمنه من صور اللغة التي ينبغي أن تتميز بموافقة القواعد النحوية عمومًا؛ حتى يتمكن هذا المتلقي من فهم هذا النص والانصهار في معانيه.

ويرى بعض الباحثين أن قبول المتلقي للنص يحدث بِتَدَرُّجٍ مِن مستوى النطق أو الكتابة، ثم إلى مستوى اختيار المفردة وتآلفها مع جيرانها من الكلمات وتآلفها مع المعرفة اللغوية لدى المتلقي، ثم إلى مستوى الجملة وطريقة تركيبها أفقيًّا ورأسيًّا، ثم يتعدَّى ذلك إلى مستوى النص إجمالاً[٥٠]، كما أنَّ المقبوليَّة تستجيب لعوامل متنوِّعة مثل: نوع النص، والمقام (الثقافي، والاجتماعي)، ومرغوبية أهداف هذا النص[٥١].

وقد حاول بعض الباحثين[٥٢] جمع العوامل المؤثرة في المتلقي على النحو الآتى:

– معرفة المتلقي بنوع النص، ومعرفة من هو المنتج؟

– معرفة المتلقي لقصد المنتج، أي: دلالة النص العامة، التي وسمها فان داي ك بـ(البنية الكبرى).

– تعتمد نسبة قبول النص على مدى أهمية النص بالنسبة إلى متلقيه.

– تعتمد نسبة قبول النص على الخلفيات الفكرية والأيديولوجية التي يتمتع بها مستقبل النص.

– تعتمد نسبة قبول النص على الخصائص النفسية التي يتمتع بها المتلقي؛ ذلك بأنَّ الحالة النفسية تؤثر في الحالة الذهنية.

المقبوليَّة في البلاغة العربية:

لقد اهتم البلاغيون القدماء بمعنى المقبوليَّة عناية كبيرة في وقت مبكر من نشاطهم البلاغي والنقدي، ويأتي اهتمام البلاغيين من اهتمام الشعراء والخطباء أنفسِهم منذ العصر الجاهليِّ بأن يقع كلامُهم موقع القبول من السامع.

وهناك إشارات كثيرة منثورة في مصنفات القدماء تركز على هذا الأمر لتدلَّ على درايتهم به وفطنتم إليه، بل عنايتهم به، ومنها: التنقيح والتهذيب(٥٣)، والعناية بالابتداء والاحتراز من التطير(٥٤)، والوقوف على الأطلال والنسيب(٥٥).

إن مقبوليَّة المتلقي أو المخاطب تَعنِي كلَّ تلك الأمور النفسية والاجتماعية التي توجِّه أو تؤثِّر في قبوله أو رفضه لنصٍّ ما.

وفي البلاغة يستجيب القبول إلى خبرةِ المتلقي وثقافته وذوقه وتوجُّهه(٥٦)، بالإضافة إلى المقام الذي يقال فيه، وقد ركز النقاد والبلاغيون على ثلاثة مبادئ يجب أن تتوافر في البنى التركيبية المكونة لأيِّ نص، وهذه المبادئ هي التي تكسبه القبول أو المقبوليَّة عند المتلقي، وهي(٥٧):

١- الابتعاد عن ضعف التأليف، أي: الابتعاد عن مخالفة أحكام النحو التي تؤدي إلى إيهام المعنى وتعقيده، وهذا ما أكده عبد القاهر بقوله: «فلست بواجد شيئًا يرجع صوابه إن كان صوابًا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى (النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، إلاَّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلامًا قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك

الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه»[٥٨].

٢- الابتعاد عن التعقيد؛ فأوضح الجاحظ أهمية الابتعاد عن التعقيد بقوله: «الخطاب (النص) الذي يتصف بالتعقد اللفظي والتواء العبارات وسوء التراكيب واستعمال الوحشي من الكلمات يقود إلى استبهام المعنى، وصعوبة فهمه من المتلقي، فيكون عرضة للرفض والإسقاط»[٥٩].

٣- الابتعاد عن التنافر؛ فوضَّح عبد القاهر فساد القول بقوله: «لا يخفى على عاقل أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان.. حتى يكون قد ألف منها كلام، ثم كان ذلك الكلام صحيحًا في نظمه والغرض الذي أريد به، وأنه لو عمد عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى، ويؤلف منها كلامًا، لم ترَ عاقلا يعتدُّ السهولة فيها فضيلة لأن الألفاظ لا تُراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني، فإذا عدمت الذي له تُراد أو اختلَّ أمرُها فيه، لم يُعتَدَّ بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة وغيرُ السهولة فيها واحدًا»[٦٠].

وقد راعى المفسرون حال المتلقي في مواضع كثيرة من تفاسيرهم، ومن ذلك أن عمل المفسر غالبًا يبدأ من تحديد المخاطب بالآية أو الآيات، ثم يبدأ في شرح الآيات في ضوء تحديد المخاطب، ثم يشرح التناقض أو الاتفاق، وإذا اختلف في المخاطب بهذه الآيات كان المفسِّر يرجِّح أحد الآراء بالعودة إلى السياق.

مراعاة حال المخاطب في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي:

حاول الرازي أن يبيِّن مراعاة النص القرآني لحال المخاطَبين بآياته، ومن ثم ضمان مقبوليَّة هؤلاء المخاطَبين، وذلك في مواطن عديدة من تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، ومن ذلك:

١- مراعاة حال المخاطب في استخدام المفردات:

وازن الرازي بين اسخدام مفردتين في سياق تقابلي بين المسلمين وغيرهم، وذلك في قوله ﷻ: **{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ}**(٦١).

فالآية الكريمة تبيِّن حال المنافقين في أثناء الحرب الواقعة بين المسلمين وغيرهم، فاستعملتْ (الفتح) حين يكون الانتصار للمسلمين، واستعملتْ (النصيب) حين يكون الأمر لغير المسلمين.

ويُعلِّل الرازي لذلك بقوله: «فإن قيل: لم سمى ظفر المسلمين فتحًا وظفر الكفار نصيبًا؟ قلنا: تعظيمًا لشأن المؤمنين واحتقارًا لحظ الكافرين؛ لأن ظفر المؤمنين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى تنزل الملائكة بالفتح على أولياء الله، وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دنيء ينقضي ولا يبقى منه إلا الذم في الدنيا والعقوبة في العاقبة»(٦٢).

ولعلَّ ممَّا يُلحظ في تعبير الآية الكريمة استعمال شبه الجملة (من الله) نعتًا للفتح للدلالة على أنَّه حاصل للمسلمين بالقدرة الإلهيَّة والمشيئة الربانيَّة، لا بقدرتهم، فناسب ذلك استعمال (فتح)؛ لكونه مسندًا إلى الله ﷻ، كما استعمل شبه الجملة (معكم) للدلالة على مشاركة غير المسلمين في المعركة بالعدد، وليس في كونهم من عوامل النصر بما بذلوه من بسالة وشجاعة.

وفي سياق الكلام مع الكافرين استعمل شبه الجملة (عليكم)، وفيها دلالة الاستعلاء والمنَّة منهم على الكافرين، وكأنَّهم أصحاب الدور الأكبر في النصر(٦٣).

يتبين من خلال تحليل الآية السابقة مدى الاهتمام بمناسبة كل مفردة في القرآن الكريم لمكانها، وبيان دورها في السياق، وأثرها في المتلقي.

٢- مراعاة حال المخاطب عند الحذف:

رفض النحاة القدامى الحذف والتقدير في النص القرآني؛ فهو الكتاب المنزَّه عن الحذف والنقصان والزيادة والحشو، وكان هذا الرفض مبنيًّا على أسس معنوية قرآنية تنبَّه إليها القدماء في إطار تعمقهم في تحليل النص القرآني ودراسته؛ لذا عمدوا إلى اعتماد عدة وسائل كاشفة عن العنصر المغيب تغيبًا قصديًّا؛ إذ ما من حرف أو كلمة في الخطاب الإلهي إلا ووضع لغاية مخصوصةٍ وقصْد إلهي سابق[٦٤]، وهي اعتماد القرائن السياقية في الاستدلال على مقاصد النص وفي تسويغ الحذف[٦٥].

من هنا بدؤوا في بناء أحكامهم على مراعاة حال المتكلِّم والمخاطب ومجموعة من القرائن الحالية والمقالية التي يعتمد عليها المتكلِّم في إيصاله الكلام وتحقيق مقبوليَّة المتلقِّي واستجابته.

كان سيبويه بارعًا في رصد أحوال المخاطب، وربطه بين الأحوال النفسية والاجتماعية لكلٍّ من المتكلم والمخاطب؛ فبنى كثيرًا من الأحكام النحوية بناءً يتناسب وتلك الحالات والأوضاع، فجاءت تلك الأحكام متساوقة مع طبيعة اللغة، ومن ذلك تصوُّره قدرة المخاطَب على الموازنة بين الأشياء التي يسمعها، وبين الاستدلال بكلِّ ما يوحي به النَّص من قرائن وإشارات[٦٦]، وهذا دليل على قدرة المخاطب على الاستدلال بالقرائن في تفسير الحذف[٦٧].

لقد اعتمد الرازي في تناوله للحذف على الأسس والاعتبارات التركيبية والدلالية والمقامية، وفي كل ذلك يدرك أن للحذف جماليات يضفيها على التعبير تجعل مقبوليَّة المخاطب واستجابته أعلى؛ وذلك لما للحذف من أثر على نفسية المتلقي، يقول الرازي: «والحذف أفخم؛ لأن عند الحذف يذهب الوهم كلَّ مذهب»[٦٨].

ومدار الحكم على أن ذلك النص يراعي حال المخاطَب هو أنْ يفهمه ذلك المخاطبُ أولاً، ثم يقبله، ثم يستجيب له أو يتفاعل معه.

والرازي قد علَّل الحذف في بعض الآيات بأنَّ المخاطب يعلم المحذوف أو يستغني عن ذكْره بغيره أو ببعضِه، ومن ذلك قوله ﷻ: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}(٦٩).

يقول الرازي: «قال النحويون: ارتفع قوله: (لعمرُك) بالابتداء والخبر محذوف، والمعنى: لعمرُك قسمي، وحذف الخبر لأن في الكلام دليلاً عليه، وباب القسم يحذف منه الفعل، نحو: بالله لأفعلنَّ، والمعنى: أحلف بالله، فيحذف لعلم المخاطب بأنك حالف»(٧٠).

وفي هذا النص يبيِّن الرازي علة الحذف في أسلوب القسم بعلم المخاطب بذلك المحذوف، وهو هنا الخبر، وفي هذا مراعاة الله تعالى لعلم المخاطَب.

ومن ذلك قوله ﷻ: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}(٧١)؛ حيث يرى الرازي أن هنا حذفًا تقديره: ولو ترى إذ وُقِفوا على النار لرأيتَ سوء منقلبهم وسوء حالهم، ويعلِّل الرازي لذلك الحذف بسببين:

الأول: أن الحذف في مثل هذه المواقف يكون للتفخيم، وهو فيها أبلغ من الذكر؛ يقول: «وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى: أنكَ لو قلتَ لغلامكَ، واللهِ لئن قمتُ إليكَ وسكتَّ عن الجواب، ذهب بفكره إلى أنواع المكروه من الضرب والقتل والكسر، وعظم الخوف ولم يدر أيَّ الأقسام تبغي. ولو قلتَ: والله لئن قمتُ إليكَ لأضربنَّك فأتيت بالجواب لعلم أنك لم تبلغ شيئًا غير الضرب ولا يخطر بباله نوع من المكروه سواه، فثبت أن حذف الجواب أقوى تأثيرًا في حصول الخوف»(٧٢).

الثاني: لعلم المخاطب بهذا الحذف، يقول: «وَجَازَ حَذْفُهُ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِهِ، وَأَشْبَاهُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالشِّعْرِ»(٧٣).

ولأنَّ مراعاة علم المخاطب بالمحذوف كثير في القرآن الكريم –كما قال الرازي– فإن الباحثة تكتفي بهذين المثالين على أن الرازي كان يعلل للمحذوفات في الآيات مؤكدًا على أن النص القرآني قد راعى حال المخاطب بهذه الآيات، سواء للعلم بها أو للاستغناء ببَعْض الذكْر عن الذكْر كله.

٣- مراعاة حال المخاطب عند التغليب:

تحدث اللغويون العرب القدماء عن قضية التغليب في العربية، ومنهم: المبرد[٧٤]، وابن رشيق[٧٥]، والقرطاجني[٧٦]، وغيرهم؛ فابن هشام يرى أن العرب تغلب استخدام المفردة على الأخرى للتناسُب بين المفردات[٧٧]، ويرى القزويني أن التغليب باب واسع من أبواب العربية، فصَّل القول فيه، وذكر أنواعه المتعددة[٧٨].

وقد أفرد الزركشي للتغليب بابًا خاصًّا في كتابه (البرهان)، وعرفه بقوله: «وحقيقته إعطاء الشيء حكمَ غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظه عليهما إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين»[٧٩].

وما يهم الدراسة هنا هو التغليب المرتبط بمراعاة حال المخاطب، وقد اتضح ذلك في مواضع عديدة من تفسير الرازي، منها قوله ﷻ: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُون (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آن (٤٤) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان (٤٦) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَان (٤٨) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَان (٥٠) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَان (٥٢) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَان (٥٤) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَان (٥٦) فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَان}[٨٠].

فالرازي يسأل: ما العلة في عدم الفصل بين أجزاء الحديث عن النار والفصل بين أجزاء الحديث عن الجنة بقوله: (فبأي آلاء ربكما تكذبان)؟!

ويجيب نفسه عن ذلك بقوله: «فيه **تغليب** جانب الرحمة، فإن آيات العذاب سردها سردًا وذكرها جملة ليقصر ذكرها، والثواب ذكره شيئًا فشيئًا؛ لأن ذكره يطيب للسامع فقال بالفصل وتكرار عود الضمير إلى الجنس بقوله: فيهما عينان، فيهما من كل فاكهة؛ لأن إعادة ذكر المحبوب محبوب، والتطويل بذكر اللذات مستحسن»(٨١).

والتغليب هنا يراعي حال المخاطبين ترغيبًا لهم في مواصلة القراءة أولاً، والعمل لذلك ثانيًا؛ وبالتالي فإن تغليب جانب الرحمة هنا قد قام بدور كبير في مقبوليَّة المتلقي للنص القرآني؛ وذلك لأنه راعى شرطًا مهمًّا في مقبوليَّة النص، وهو مرغوبية الأهداف.

وما زال الرازي يرى في تغليب جانب الرحمة مراعاةً لحال المتلقي للنص القرآني الكريم، فيرى في قوله ﷻ: {نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ}(٨٢) تأكيدًا ومبالغةً في الرحمة والمغفرة من وجوه ثلاثة: استخدام (أنِّي)، واستخدام (أنا)، واستخدام التعريف بالألف واللام.

ثم يختم حديثه في ذلك بقوله: «لمَّا قال: (نبئ عبادي) كان معناه: (نبئ كل من كان معترفًا بعبوديتي)، وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع، فكذلك يدخل فيه المؤمن العاصي، وكل ذلك يدل على **تغليب** جانب الرحمة من الله تعالى»(٨٣).

فتغليب أسلوب على أسلوب آخر يكون مراعاة لحال المخاطب من طلب الرحمة به والمغفرة له، ورُكونه إلى هذا الجانب.

أما في قوله ﷻ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ}(٨٤) فقد خاطب الله ﷻ نبيَّه ﷺ (يا أيها النبيُّ)، ثم استخدم الجمع بعد ذلك؛ ويعلل الرازي لذلك قائلاً: «نادى النبيَّ ﷺ، ثم خاطب أمته لما أنه سيدهم وقدوتهم، فإذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك

الخطاب، قال أبو إسحاق: هذا خطاب النبي ﷺ، والمؤمنون داخلون معه في الخطاب»[٨٥].

وكأن الرازي يرى في هذا النص أن الخطاب موجَّه للنبي ﷺ وللمؤمنين جميعًا في وقت واحدٍ إلاَّ أن عادة العرب جرت على مخاطبةِ سيد القوم وصدر مجالسهم، وهذا يتوافق مع المقام الثقافي والاجتماعي للنص القرآني، وكذلك يتوافق مع الحالة النفسية المتقبِّلة لكل ما يوجَّه إلى النبي ﷺ من أوامر ونواهٍ من ربه؛ وبالتالي فإن الحديث بداءَةً توجَّه للنبي ﷺ وحده لفتًا لأنظار جميع مّن حوله ومن يتابع أخباره، بل من يهتدي به أيضًا.

التعليق على المحور الثاني:

تناول هذا المحور مظاهر مراعاة حال المخاطب في تفسير الرازي؛ حيث كان الرازي في تفسيره وتحليله للمفردات يثبت أن النص القرآني قد راعى أحوال المخاطبين بمفرداته وتراكيبه إلا أن الدراسة تناولت الحذف نموذجًا لعلم المخاطَب بسياق الكلام أو استغنائه بجزء مما ذُكِرَ عن ذِكْرِ الكل، ثم تناول نموذجين من نماذج التغليب، وهي: تغليب تركيب على آخر أو أسلوب على آخر مراعاةً لجانب الرحمةِ، وتغليب مفردة على أخرى مراعاةً لحال المخاطبين.

نتائج البحث

من خلال هذه الرحلة القصيرة مع معياري القصديَّة والمقبوليَّة، يتضح أنَّ:

أولاً: القصديَّة والمقبوليَّة مصطلحان حديثان لجزء من موضوعين عربيين خالصين، وهما (مراعاة مرادِ المتكلم)، و(مراعاة حال المخاطب).

ثانيًا: كان الرازي شغوفًا ببيان قصدية النص القرآني من كلماته وآياته وسوره، وذلك من خلال ما أوتي من معرفة لغوية بعيدة عن التعقيد والفلسفة، وفي حدود ما يحتمل الاجتهاد دون التوقيفي يتأتى الذي إلا بنص صحيح عن النبي ﷺ.

ثالثًا: حاول الرازي إظهار مراعاة النص القرآني لحال المخاطَب بالقرآن الكريم، وذلك على مستوياته كافة؛ المفردات والتراكيب والأساليب وما يتعلق بها من ناحية، وعلم المخاطب وظروفه النفسية والاجتماعية التي يمر بها من ناحيةٍ أخرى.

رابعًا: تميَّزت لغة القرآن الكريم –بحسب ما تناوله البحث من كلام الرازي– بخصائص وسمات خاصة، من أهمها: التداولية ببعديها القصديَّة (من النص القرآني) والمقبوليَّة (من متلقي النص القرآني).

خامسًا: كان الرازي موفقًا في الجمع بين بيان قصدية النص القرآني من نصوص الآيات والسور القرآنية وبين بيان طُرُق مراعاة حال متلقي هذا النص المُعجِز.

توصيات البحث:

يوجِّه البحث عناية من يتعرَّض للتفاسير أو كتب التراث اللغوي بالدراسة التداولية أن يتحرَّى ما يلي:

١- الانتباه إلى معطيات الاستقراء والإحصاء بوصفه آلية مهمَّة في الدراسات التداولية، خصوصًا مع هذا التراث الزاخر.

٢- الاهتمام بالعناصر الأساسية للتداولية دون تحميل النص -خصوصًا النصَّ التراثي- ما ليس فيه.

٣- الاهتمام دومًا بالقصديَّة والمقبوليَّة على أنهما وجهان لعملة واحدة، يشكلانِ عنصرين مهمين لتحقيق تداولية أي نصٍّ.

٤- عمل دراسات لغوية تداولية أكثر عمقًا للتراث النحوي والبلاغي والأصولي والشرعي؛ لما يحمله ذلك من أهمية كبرى للتراث، وإثبات أصالته.

الدراسات المستقبلية:

من خلال نتائج البحث وتوصياته، يوصي البحث بعمل الدراسات المستقبلية التالية:

١- دراسة السياقية أو الموقفية في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي.

٢- دراسة حال الإفادة والتبليغ في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي.

**

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب:

١- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م.

٢- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢م.

٥- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٠٩هـ.

٦- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م.

٧- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠م.

٨- تاريخ النقد العربي عن العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، إحسان عباس، دار الشروق، عمَّان، ٢٠٠٦م.

٩- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تحقيق: حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٠- التحليل النحوي: أصوله، وأدلته، فخر الدين قباوة، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١١- التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٢- تفسير البحر المحيط، أبو حيان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٣- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
١٤- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير، تحقيق: مصطفى جواد، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٥هـ.
١٥- الجنى الداني في حروف المعاني، ابن أم قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
١٧- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٨- الدلالة والنحو، صلاح الدين صالح حسانين، مكتبة الأزهر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٩- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.
٢٠- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٢١- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.
٢٢- العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود توفيق سعد، مطبوعات كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، شبين الكوم، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٣- العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين، مصطفى عبد العليم، منشورات كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، د.ت.
٢٤- علم لغة النص: المفاهيم، والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٥- علم لغة النص: النظرية، والتطبيق، عزة شبل، مطبعة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٧- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦م.
٢٨- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.
٢٩- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفصل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م.
٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣١- اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م.
٣٢- مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية دي بو جراند وولفجابج دريسلر)، إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، دار الكاتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
٣٣- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، تحقيق: عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٤- المعايير النصية في السور القرآنية (دراسة تطبيقية مقارنة.. الأعراف والنساء نموذجًا)، الدكتور يسري نوفل، دار النابغة، طنطا، ٢٠١٤م.
٣٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٣٦- مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
٣٨- نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م
٣٩- نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، البقاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.

ثالثًا: الترجمات:

٤٠- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

رابعًا: الرسائل الجامعية:

٤١- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند فخر الدين الرازي في كتابه (التفسير الكبير)، الباحث: الحسين بركات، رسالة دكتوراه بكلية الآداب واللغات – جامعة سطيف، ٢٠١٨م.
٤٢- أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الباحث: عقيل عبد الزهرة مبدر، رسالة ماجستير بجامعة الكوفة، ٢٠١٢م.
٤٣- الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور نموذجًا، الباحثة: نوال لخلف، رسالة دكتوراه بكلية الآداب واللغات – جامعة الجزائر، ٢٠٠٧م.

٤٤- السياق وأثره في الكشف عن المعنى دراسة تطبيقية في كتب معاني القرآن، الباحثة: خلود عيدان، رسالة دكتوراه بكلية التربية للبنات – جامعة بغداد، ٢٠٠٨م.

خامسًا: البحوث:

٤٥- الضوابط التداولية في مقبولية التركيب النحوي، أحمد حسن الحسن، بحث منشور بمجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج(١١)، ع(٢)، ديسمبر ٢٠١٤م.

٤٦- القارئ والنص، سيزا قاسم، مجلة عالم الفكر، مج(٢٣)، ع(٣-٤)، ١٩٩٥م.

٤٧- اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، محمد سويرتي، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج(٣٨)، ع(٣)، يناير/مارس ٢٠٠٠م.

٤٨- مراعاة حال المخاطب والمقام في النحو القرآني، هناء محمود إسماعيل، مجلة كلية التربية الأساسية، ع(٧٠)، ٢٠١١م.

٤٩- مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، كريم الخالدي، بحث منشور بمجلة المورد، العراقية، الديوانية، ٢٠٠٠م.

٥٠- مفهوم الحذف والتقدير عند الباقولي في كتابه (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) دراسة تأصيلية، حسن عبيد وهند عباس، بحث منشور بمجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية – جامعة بابل، ع(٣٣)، يونيو ٢٠١٧م.

٥١- المقبولية في الخطاب القرآني: السور المدنية أنموذجًا، سعاد كنداوي وعلي حمادي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج(١٧)، ع(٣)، ٢٠١٧م.

٥٢- الوقوف على الطلل، محمد عبد المطلب مصطفى، مجلة فصول، مج(٤)، ع(٢)، ١٩٨٤م.

سادسًا: الكتب الأجنبية:

٥٣- Discourse analysis, Barobara Hnstone, BlackWell, Oxford, ٢٠٠١.

* *

الهوامش

(١) مفتاح العلوم: ٦٨.

(٢) انظر: الضوابط التداولية في مقبولية التركيب النحوي: ٢٤٦.

(٣) اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي: ٣٠.

(٤) Discourse analysis: ١٩٧.

(٥) انظر في ترجمته: مقدمة تفسير الفخر الرازي، وفخر الدين الرازي، لفتح الله خليف.

(٦) انظر: البداية والنهاية: ٣/ ٥٥.

(٧) سورة الأنعام: ٥٩.

(٨) انظر: تفسير الفخر الرازي: ١٣/ ١٠.

(٩) انظر: السابق: ٢/ ٩.

(١٠) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٩.

(١١) علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٨، وينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٢٣١.

(١٢) انظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٨.

(١٣) انظر: السابق: الصفحة نفسها.

(١٤) انظر: القارئ والنص: ٢٧٧.

(١٥) أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٣٢.

(١٦) انظر: اللغة والتفسير والتواصل: ١١.

(١٧) دلائل الإعجاز: ٥٣٠.

(١٨) السابق: ٤٥٤.

(١٩) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٣.

(٢٠) انظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٣١، ونظرية علم النص: ٥٠.

(٢١) انظر: المعايير النصية في السور القرآنية: ٢٧٩-٢٨٠، والعزف على أنوار الذكر: ١٤.

(٢٢) التفسير الكبير للرازي: ٩/ ٤٧٥.

(٢٣) السابق: الصفحة نفسها.

(٢٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢/ ٨٨-٨٩، وانظر: نظم الدرر: ٢/ ٢٠٤.

(٢٥) انظر في تفصيل ذلك: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون.

(٢٦) انظر: العلاقات النصية في القرآن الكريم دراسة نحوية لجهود المفسرين: ٢١.

(٢٧) سورة المائدة: ٩١.

(٢٨) التفسير الكبير للرازي: ١٢/ ٤٢٥.

(٢٩) سورة محمد: ٢٢.

(٣٠) التفسير الكبير للرازي: ٢٨/ ٥٤.

(٣١) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٣٢) التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٤١٥.

(٣٣) انظر: السابق: الصفحة نفسها.

(٣٤) انظر: الدر المصون: ٢/ ٤٢٠.

(٣٥) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٣٦) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٤٢٣، وأثر الدلالات اللغوية في التفسير عند فخر الدين الرازي في كتابه (التفسير الكبير): ٧١.

(٣٧) التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٤٢٣.

(٣٨) السابق: الصفحة نفسها.

(٣٩) التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٤٢٣.

(٤٠) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٤١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٨٠، وشرح التسهيل: ٢/ ٤٧.

(٤٢) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٤٧١.

(٤٣) انظر: السابق: الصفحة نفسها، والجنى الداني في حروف المعاني: ٥٨٠.

(٤٤) انظر: شرح التسهيل: ٢/ ٨.

(٤٥) انظر: التحليل النحوي: أصوله، وأدلته: ٢٠٩.

(٤٦) التفسير الكبير للرازي: ٢/ ٣٣٤.

(٤٧) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٩٢.

(٤٨) النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

(٤٩) مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية دي بو جراند ودريسلر: ١٢.

(٥٠) انظر: الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور نموذجًا: ٤٦.

(٥١) مدخل إلى علم لغة النص: ٣١.

(٥٢) انظر: نظرية علم النص: ٥٥-٥٦.

(٥٣) انظر: البيان والتبيين: ٢/ ١٣-١٤، والعمدة: ١/ ١٣٦، وتحرير التحبير: ٤٠٢، والشعر والشعراء: ١/ ٩٣، وعيار الشعر: ٩، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: ١٥٧، وتاريخ النقد العربي عن العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري: ١٣٨.

(٥٤) انظر: عيار الشعر: ١٢٢-١٢٣، وكتاب الصناعتين: ٤٣١، وسر الفصاحة: ١٨٣، والعمدة: ١/ ٢٢٥.

(٥٥) انظر: الشعر والشعراء: ١/ ٢٠، والعمدة: ١/ ٢٣١، والوقوف على الطلل: ١٥٣.

(٥٦) انظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١١٣.

(٥٧) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥-١٧.

(٥٨) دلائل الإعجاز: ٨٢-٨٣.

(٥٩) البيان والتبيين: ٣٧٨-٣٧٩.

(٦٠) دلائل الإعجاز: ٥٢٢.

(٦١) سورة النساء: ١٤١.

(٦٢) التفسير الكبير للرازي: ١١/ ٢٤٨، وانظر: الكشاف: ١/ ٥٧٨، والبحر المحيط: ٣/ ٣٩١.

(٦٣) انظر: المقبولية في الخطاب القرآني: السور المدنية أنموذجًا: ١٠١-١٠٢.

(٦٤) انظر: مفهوم الحذف والتقدير عند الباقولي في كتابه (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) دراسة تأصيلية: ٣٣٩-٣٤٠.

(٦٥) انظر: السياق وأثره في الكشف عن المعنى دراسة تطبيقية في كتب معاني القرآن: ١٠.

(٦٦) انظر: مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه: ٢٠-٢٨.

(٦٧) انظر: مراعاة حال المخاطب والمقام في النحو القرآني: ٨٢.

(٦٨) التفسير الكبير للرازي: ١١/ ٢٥٨.

(٦٩) سورة الحجر: ٧٢.

(٧٠) التفسير الكبير للرازي: ١٩/ ١٢٤.

(٧١) سورة الحجر: ١٠.

(٧٢) التفسير الكبير للرازي: ١٢/ ٥٠٨.

(٧٣) السابق: الصفحة نفسها.

(٧٤) انظر: الكامل في اللغة والأدب: ١/ ٢٠٥.

(٧٥) انظر: العمدة: ٢/ ٤٦.

(٧٦) انظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٠٣.

(٧٧) انظر: مغني اللبيب: ٢/ ٦٨٦.

(٧٨) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٨١-٨٢.

(٧٩) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٣٠٢.

(٨٠) سورة الرحمن: ٤٤-٥٨.

(٨١) التفسير الكبير للرازي: ٢٩/ ٣٧٢.

(٨٢) سورة الحجر: ٤٩-٥٠.

(٨٣) التفسير الكبير للرازي: ١٩/ ١٤٩.

(٨٤) سورة الطلاق: ١.

(٨٥) التفسير الكبير للرازي: ٣٠/ ٥٥٨.

* * *